جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

شَاعِرِيَّةُ القَصِيدَةِ فِي دِيوَانِ: ((عَذَابُ السِّنِينِ)) لِلشَّاعِرِ حَمَدٍ الحَجِّيِّ

الدكتور

رمزي السيد سيد أحمد حجازي

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب بطبرجل، جامعة الجوف
المملكة العربية السعودية.

مدرس بقسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر، مصر

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

شَاعِرِيَّةُ الْقَصِيدَةِ فِي دِيوَانِ: ((عَذَابُ السِّنِينَ)) لِلشَّاعِرِ حَمَدٍ الْحَجِّيِّ

رمزي السيد سيد أحمد حجازي

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب بطبرجل، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية.

مدرس، قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: rehegazy@ju.edu.sa

الملخص

يتناول هذا البحث أحد شعراء العصر الحديث، وهو الشاعر السعودي "حمد الحجي"، ويسلط الضوء على جماليات القصيدة الشعرية في ديوانه، قاصدا إبراز ما فيها من ملامح القوة والتأثير، التي خرجت بها عن أنساق الكلام العادي، وكثفت فيها عناصر الشعر، حتى صارت لغة جمالية إمتاعية، تشبع ذوق القارئ، وترضي ذائقته الأدبية، قبل أن تكون لغة إفهام أو توصيل للمعنى، وهذه غاية كل فن، ولا سيما الشعر، وهو شاعر عانى الألم والحرمان، والبؤس والشقاء، فأرهف كل ذلك حسه، ورقق مشاعره، فانسابت لغته، وتدفق أسلوبه، وجاشت عاطفته، وحلق بخياله إلى آفاق أوسع، وآماد أبعد، وتعانق النغم الشعري مع معانيه، ففاض شعره بالجمال والقوة والشاعرية.

الكلمات المفتاحية : الشاعرية، الجمالية، القصيدة، الحجي .

The poetics of the poem in the collection of "The Agony of the Years" by the poet Hamad Al-Hajji

Ramzi Al-Sayed Ahmed Hegazy
Assistant Professor of Literature and Criticism: Faculty of Science and Arts in Tabarjal - Al-Jouf University
Lecturer of Literature and Criticism: Faculty of Arabic Language at Itay Al-Baroud - Al-Azhar Universitya
Email: rehegazy@ju.edu.sa

Abstract

This research deals with one of the poets of the modern era, the Saudi poet Hamad Al-Hajji, and sheds light on the aesthetics of the poem in his poem, with the intention of highlighting the strength and influence in it, which departed from the patterns of ordinary speech, and intensified the elements of poetry, until it became a language An entertaining aesthetic that satisfies the reader's taste and satisfies his literary taste, before it is a language of understanding or a conveyance of meaning, and this is the goal of every art, especially poetry, and he is a poet who has suffered pain and deprivation, misery and misery, so all this relieved his sense, and softened his feelings, so his language flowed, and flow His style, his passion, and he soared his imagination to wider horizons, and farther, embracing the poetic melody with its meanings, so he filled his poetry with beauty, strength and poetics.

Keywords : Poeticism, aestheticism, poem, Hajji

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

فالشعر مراتبُ، والشعراء كذلك، متفاوتون في مقدرتهم البيانية، وفي ملكتهم واستعدادهم للقريض، وفي لغتهم وأدواتهم التي يستخدمونها في التعبير والإفصاح عن أفكارهم وتجاربهم، وفي تصويرهم وخيالهم، وفي انسجام معانيهم مع القوالب الموسيقية والتنغيمات العروضية، وبقدر حظهم من ذلك كله يكون نصيبهم من الجودة والإتقان، والتأثير في نفوس القراء والمستمعين.

وشاعرنا "حمد الحجي" لم يحظ بشهرة واسعة، بيد أنه شاعر مبدع، صاحب موهبة متدفقة، وقلم سيال، وعاطفة جياشة، خصب الخيال، رومانسي المنزع، لا يتكلف نظم الشعر، أنضج الألمُ تجربته، وزاد البؤس من حرارتها، وأكسبتها شفافية نفسه ورقتها وحساسيتها في شتى أغراضه الشعرية تميزا وتفردا، وقدرة على الولوج إلى منافذ القلب، والاستحواذ على المشاعر والأحاسيس.

وبناء على ذلك تأتي أهمية هذا البحث الذي يسلط الضوء على شاعرية القصيدة عند الحجي، فكان عنوانه: "شَاعِرِيَّةُ الْقَصِيدَةِ فِي دِيوَانِ: "عَذَابُ السِّنِينَ" لِلشَّاعِرِ حَمَدٍ الْحَجِّيِّ"، ويهدف إلى إبراز خصائص شعر الحجي، وتجلية عوامل القوة والشاعرية الكامنة في القصيدة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أما الدراسات السابقة، لشعر "الحَجِّي"، فتتلخص في دراستين:

- **الأولى** : "الشاعر حمد الحَجِّي"، للدكتور/ محمد بن سعد بن حسين، عُني فيها بالترجمة للشاعر، وحاول جمع شعره في المرحلة التي سبقت نشر ديوانه.

- **الثانية** : رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان: "حمد الحَجِّي شاعرا"، للباحث/ خالد بن عبد العزيز الدخيل، ولم أستطع الحصول على هذه الرسالة.

وأما خطة البحث، فهي على النحو الآتي:

- **المقدمة**: وتتضمن أهمية البحث، وتوضيح خطته ومنهجه.
- **تمهيد**: وفيه مطلبان: الأول: التعريف بالشاعر وشعره، والثاني: المقصود بشاعرية القصيدة.
- **المبحث الأول**: ويتناول شاعرية المفردات.
- **المبحث الثاني**: ويتحدث عن شاعرية العاطفة.
- **المبحث الثالث**: ويأتي عن شاعرية الصورة.
- **المبحث الرابع**: ويتضمن الحديث عن شاعرية الإيقاع.
- **الخاتمة**: وفيها نتائج البحث وتوصياته.

ويمضي هذا البحث معتمدا على النص الشعري والقصيدة الشعرية في ديوان "عذاب السنين"، موظفا المنهج الفني التحليلي، بالوقوف مع النصوص، وبيان ما فيها من ملامح الجمال، ومظاهر الشاعرية، ولم يستغن

البحث عن توظيف بعض المناهج الأخرى كالنفسي والاجتماعي، في سبيل الكشف عن أسرار النص، وما يحويه من عناصر فنية، حققت له الجمال والإمتاع.

وبعد ، فاللهَ أسأل أن يبارك هذا العمل، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، خدمةً للعربية والدين، وأن يغفر لهذا الشاعرِ، ويتقبله في الصالحين.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(تمهيد)

المطلب الأول: التعريف بالشاعر:

نسبه: حمد بن سعد بن محمد موسى الحجّي، ولد في قرية "مرّات" من إقليم الوشم بالقرب من الرياض، سنة (١٣٩٧هـ- ١٩٣٨م)، وتوفي بمدينة الطائف سنة (١٤٠٩هـ-١٩٨٨م).

حياته: عاش في المملكة العربية السعودية، وزار الكويت، وإيران، ولبنان، ومصر، ولندن، بحثًا عن العلاج لحالة نفسية حادة، حيث أصيب بمرض الفصام، فقد أفاد كثير من الأطباء بأن لديه انفصاماً حاداً في الشخصية منعه من إكمال دراسته، كما منعه من الشدو بالشعر.

بعد الابتدائية التحق بالمعهد العلمي بالرياض ١٩٥١، ونال شهادته ١٩٥٦، فالتحق بكلية الشريعة، وأيضًا بكلية اللغة العربية في الرياض، وحال مرضه النفسي دون بلوغ الغاية منهما(١).

(١) ينظر: شعراء نجد المعاصرون دراسة ومختارات، د. عبد الله بن إدريس، ص ١٨٠، النادي الأدبي بالرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣/ ٢٠٠٢م، وينظر: أدباء سعوديون (ترجمات شاملة لسبعة وعشرين أديبا) د/ مصطفى إبراهيم حسين، ص ١٤٤، دار الرفاعي- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، وينظر كذلك: الشاعر حمد الحَجّي، د/محمد بن سعد بن حسين ص ٩، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ومقال: حمد الحَجّي شاعر الآلام، المجلة العربية، العدد (٥٢٣)، الجمعة ٢٠١٥/٠٣/٢٠م:
http://www.arabicmagazine.com/arabic/articleDetails.aspx?Id=4201#

النِّتاج الشعري للحجي:

نُشر شعره في الصحف السعودية: اليمامة، والبلاد، والندوة، والجزيرة، والأضواء – وفي «الورود» اللبنانية، وقد جُمع هذا الشعر في ديوان نشر عقب رحيله، وهو ديوان «عذاب السنين» – دار الوطن للنشر والإعلام – (ط١) الرياض ١٩٨٨م.

اهتم المثقفون بشعره، وأطلقوا عليه الألقاب كشاعر نجد، والشاعر الحزين، وشبهوه بالشابي، وبطرفة بن العبد، وبإيليا أبي ماضي، إذ عانى من الغربة في مرضه.

وفي شعره يتصدر الحنين إلى نجد، وتمتزج تجاربه بحب الوطن، ويتنفس في الغزل الذي يتيح لنفسه البوح وقراءة داخله وتصوير هواجسه التي أملت عليه تشاؤمه وسوداويته، وقد جهدت موهبته أن تظهر هذا في أشكال وصور رمزية. حافظ في جل شعره على الموزون المقفى، ولكنه أخذ بنسق قصيدة التفعيلة ونوّع في القوافي أحياناً[١].

(١) ينظر: معجم البابطين، حرف الحاء، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية ٢٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الثاني: المقصود بشاعرية القصيدة:

لغة الشعر لها خصوصيتها التي تتمايز بها عن اللغة العادية، فاللغة النثرية مثلا تميل إلى الإقناع بالأدلة والبراهين، كلغة الخطبة أو الرسالة أو المقالة أو غير ذلك، أما لغة الشعر فهي لغة عاطفية تخاطب القلب والوِجدان قبل مخاطبة العقل، ومن ثَم فلا حاجة فيها إلى أدلة مقنعة، بل هي أدلة فلسفية أو بلاغية قائمة على خيال الشاعر، مستمدة من علاقات غير متوقعة، وغير محتملة، فهي تأليف خيالي يقوم بالإقناع ذاته الذي يؤخذ من اللغة العقلية، لكنه إقناع وجداني، وإشباع نفسي، وإمتاع روحي، يستغرق الحواس، ويبرهن على سيطرة لغة الشعر على الشعور بأقل الروابط، وأبعدها عن عالم الواقع، كفلسفة ابن الرومي في تعبيره عن البؤس والشقاء، وذم الدنيا:[١] (الطويل)

لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاءُ الطفل ساعةَ يولد
وإلا فما يُبكيه منها وإنها ... لأفسحُ مما كان فيه وأَرغد
إذا أبصر الدنيا استهلّ كأنه ... بما سوف يلقَى من أذاها مُهدد

فالدليل الذي ارتكز عليه ابن الرومي دليل فلسفي، غير صحيح من الناحية العقلية والعلمية، ولكنه استطاع بما أوتي من خيال وقدرة على الربط بين الأشياء أن يختلق دليلا مقنعا لما يقول، وهكذا تكون لغة الشعر.

واللغة الشعرية لغة إحساس قوي تترابط فيها الأشياء، وتتعالق فيما بينها لتفصح عن مكنون الشاعر إفصاحا قويا مفعما بالأحاسيس والمشاعر، ينم عن تناغم وتفاعل بين الشاعر والكون من حوله، نجد ذلك في كثير من

(١) ديوان ابن الرومي: ٣٧٤/١، شرح الأستاذ/ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

نماذج الشعر العربي الوجدانية الرقراقة، كما في قول مجنون ليلى: "قيس بن الملوح":[١] (الوافر)

كَـــأنَّ القَلْـــبَ لَيْلَـــةَ قِيـــلَ يُغْـــدَى ... بِلَيْلَـــى العامِرِيَّـــةِ أوْ يُـــــراحُ

قَطـــاةٌ غرَّهـــا شَـــرَكٌ فبـــاتَـــت ... تُجاذِبُـــهُ وقَـــدْ عَلِـــقَ الجَنـــاحُ

لَهـــا فَرْخـــانِ قـــد تُركـــا بِقَفْـــرٍ ... وعُـــشُّهُـــــما تُصَفِّقُـــــهُ

إذا سَـــمِعا هُبُـــوبَ الـــرِّيح هبّـــا ... وَقـــالا أُمّـــنُـــا تـــأتـــي

فَـــلا بالليـــلِ نالَـــتْ مـــا تُرجَّـــى ... ولا فـــي الصُّبْـــحِ كـــانَ لَـــها بَـــراحُ

فشاعرية القصيدة تعني الانزياح عن اللغة المعتادة، والخـروج عـن اللغة المعيارية التقليدية، إنها تعني هدم النظام اللغوي المعتاد وتشكيل نظام لغوي جديد، تتعالى فيه الألفاظ فوق دلالاتها المعجمية، وتقفز بذلك إلى عالم جديد من الإشارات واللمحات والدلالات البعيدة، التي تلامس الوجـدان، ولا يستطيع صياغتها البيان، "إذا كان الشعر تجاوزا للظواهر، ومواجهة للحقيقة الباطنة في شيء ما أو في العالم كله، فإن على اللغة أن تحيد عن معناهـا العادي، ذلك أن المعنى الذي تتخذه عادة لا يقود إلى رؤية أليفة مشتركة، إن لغة الشعر هي لغة الإشارة، في حين أن اللغة العادية هي لغـة الإيضـاح، فالشعر هو بمعنى ما، جعل اللغة تقول ما لم تتعلم أن تقوله"[٢].

اللغة الشعرية هي نسيج شعري مغاير، وأسلوب شعري غير نمطـي، وليد تجربة حية قوية، تلهبها عاطفة متأججة، وتفصح عنها الألفاظ والصور والأخيلة والإيقاعات الصوتية.

---

(١) ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى برواية أبي بكـر الـوالبي): ١١٣و ١١٤، تحقيـق/ يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ه- ١٩٩٠م.

(٢) مقدمة للشعر العربي، أدونيس: ١٢٥، ١٢٦، دار العودة- بيروت ١٩٧٩م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول: شاعرية المفردات:

المعجم اللغوي للشاعر هو اللبنات الأولى التي تتألف منها لغته الشعرية، وهو معجم في مجمله دال على ثقافته وتكوينه وملامح نشأته، فلا ينفك عن فكرته النابعة من وجدانه وإحساسه؛ فهو الناقل أو الوسيط اللغوي التواصلي والجمالي في آن واحد.

ولأن اللغة الشعرية ذات نسق جمالي، يعنى في الأساس بالحفاظ على مستويات الجمال الشعري في الألفاظ والمفردات، كان الحديث عن المعجم الشعري للشاعر من ضرورات البحث في جماليات لغته الشعرية.

وبتأمل المعجم اللغوي في ديوان: "عذاب السنين" لحمد الحجّي نجد أن هناك ثلاثةَ حقول دلالية رئيسة، يلح عليها الحجي كثيرا، ويدور في فلكها طويلا، وهي:

- حقل الطبيعة.
- حقل المرأة.
- حقل الوطن.

والشاعر في ذلك كله مدفوع بعاطفة حزينة، تدل على امتلاك الحزن أقطار نفسه، مما أفضى به إلى اليأس والإحساس بالبؤس والحرمان، فنجد مفرداته شاعرية مرهفة، رومانسية البناء والأداء.

أولا: حقل الطبيعة:

أعلن الشاعر افتتانه بالطبيعة، وولعه بها، فناسب لفظه موضوعه في شاعريته ورقته، فهو المفتون بالطبيعة، المغرم بجمالها، فهي عنده ساحرة فاتنة، تبعث في القلوب راحة من التكدير والشجن، يقول: (١)

مَفَاتِنُ تَدَعُ الأشجانَ نافِرَةً ... مِنَ القُلوبِ وتَكْسُو النفسَ تَهْذِيبا
لَوْ أُوتِيَ الطَّيْرُ إِفْصاحاً ومعرفةً ... لَراحَ يَنظِمُ فيها الشعرَ تَشْبِيبا
فاجعل لها ساعةً وانعَمْ بمَشْهَدِها ... إنْ كُنتَ تَلْمَسُ في دُنياكَ تعذيبا

ولكن العامل النفسي كان له حضور قوي في موضوع الطبيعة، إذ ظهرت عاطفة الحزن التي سيطرت عليها في نظرته إلى الكون من حوله، فرآه كله حزينا كئيبا مكفهرا، والتقط من مظاهره ما يوحي بذلك، فصور الدوحة في فصل الخريف، أثناء جفاف المياه، وتساقط الأوراق، وذبول الأغصان، فقال:

ما لِلْجَفافِ أَحالَني حَطَباً ... وأَتى على وَرَقِي وأَغْصَاني
البُلْبُلُ الصدّاحُ غادَرَني ... وكأنَّهُ ما كانَ يَهْوَاني
كَمْ هزَّني بِغنَائِهِ طَرَباً ... وحَنَا على قلبي بألحان
هذا الخريفُ مُكَدِّسٌ وَرَقِي ... تحتي لينسُجَ منهُ أَكْفَاني
والرِّيحُ تَلْطِمُني عواصِفُها ... وتَهُدُّ لي مشدودَ بُنياني
نَضَبَتْ حياتي بعد نَضْرَتِها ... ورأَى الفَنَا خَطْبِي فَنَادَاني

(١) ديوان "عذاب السنين، حمد "الحَجِّي: ص ٢٤و ٢٥، جمع وتحقيق/ محمد بن أحمد الشدي، دار الوطن- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩ه/ ١٩٨٩م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فاندمجت مفردات الطبيعة بمفردات الحزن والبؤس: (الجفاف- حطبا- ورقي- أغصاني- البلبل- الصداح- غادرني- بغنائه طربا- حنا- قلبي- بألحان- الخريف- مكدس- ورقي- أكفاني- الريح- تلطمني- عواصفها- تهد- نضبت- نضرتها- الفنا- خطبي)، وهذه أهم سمات الرومانسية، حيث ينشد الشاعر راحته، ويطلب استقراره في رحاب الطبيعة، ويعبر عن حزنه عن طريق اتخاذ الطبيعة معادلا موضوعيا لما في نفسه، فالمفردات بسيطة حزينة معبرة، استطاعت أن تخلع الحزن وتجسده في الدوحة تجسيدا قويا، حتى باتت قادرة على نقل هذه الحالة للمتلقي، وكسب تعاطفه مع الطبيعة قبل الشاعر، الذي ذاب فيها، وانصهرت روحه في عناصرها.

ينظر إلى البدر فيجده متعاطفا مع حالته، يرنو إليه فينزاح عنه حزنه، لأنه سميره الذي يناغم شعوره، فيهوى أن يصعد إلى الفضاء، إلى عالم علوي بعيد عن الإنسان، الذي لا يستحق التعاطف حيا وميتا، فيقول: (١)

يا بدرُ إنَّكَ في الظَّلامِ سَميري ... ما لي سواكَ مُناغماً لشُعُوري
أَرْنُو إليكَ وَمِلْءُ بُرْدِي وَحْشَةٌ ... فأعودُ مَوْسُومَ المُنَى بالنُّورِ
يا بدرُ إنِّي في الحياةِ مُعَذَّبٌ ... أَحْيا على هذا الثَّرَى كَأَسِيرِ
مَن لي بمِنطادِ(٢) يُجنِّح بي على ... هَذي الجِواءِ بعَيْشِيَ المَيْسُورِ
لا أَلْمَحُ الإنسانَ في أَرْجائها ... أبداً ولا آسَى على مَقْبُورِ

(١) ديوان عذاب السنين، ص ٦٨.
(٢) المِنْطادُ: وِعاء كُرويّ الشكل، يُملأ بغاز أخفَّ من الهواء فيطير في الجوّ حاملاً في أسفله سلَّة كبيرة مربوطة من جميع جوانبها بالحبال تستعمل في الركوب ونحوه. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر: ١/١٥٥، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

ويقول "الحَجِّي" في قصيدة بعنوان: "آمال وآلام":[١] (الطويل)

أَيَـا رَوْضَـةً قَـدْ كُنْـتُ أَرْتَـادُ نَبْعَهَـا ... فَتَغْسِـلُ يَـأسَ الـنفسِ تلـكَ الجَـداوِلُ

عَهِـدتُ بـكِ الأَغْصـانَ مَالَـتْ بِهـا الصَّبـا ... وَغَنَّـتْ عَـذَارَى اللحْـنِ فيهـا البَلابِـلُ

فَمَـا لـكِ أَمْسَـى الجَـدْبُ فِيـكِ مُخَيِّمـاً ... بِرَبِّـكِ أيـنَ النَّبْـعُ؟ أيـنَ الخَمَائِـلُ؟

وهَـا أنـتِ لا ظِـلٌ لـديكِ ولا جَنَـى ... فَطَيْـرُكِ مَحْـزُونٌ وَزَهْـرُكِ ذَابِـلُ

لعلّـكِ إذْ أَبْصَـرْتِنِي فِـي تَعَاسَـةٍ ... عَبَسْـتِ، أَيَرْضَـى بالتَّعَاسَـةِ عَاقِـلُ؟

أُلَـاقِيكُمْ والشَّـوْقُ في القلـبِ عَاصِـفٌ ... ولكنَّنِـي رَغْـمَ الْتِيَـاعي أُجَامِـلُ

وأَبْـدُو ضَـحُوكَ السِّـنِّ حتَّـى يَظُنَّنِـي ... خليلِـي خَلِـيَّ البـالِ والعَقْـلُ ذَاهِـلُ

فنجد كثرة المفردات الطبيعية التي تعطي الأسلوب عذوبة، وتمده برونقه وسحره وانسيابيته، كالماء الرقراق بين الجداول، وكالأغصان المائسة فوق الأشجار، والأوراق التي تهتز فوق غصونها كما تهتز الأوتار الموسيقية، باعثة أعذب الألحان.

ثانيا: حقل المرأة:

المرأة في شعر الحجي مثل الطبيعة، عامل مهم من عوامل سعادته، وباعث من بواعث السرور في قلبه، يجد في أعطافها الأمن، وفي مجاورتها السكن والقرار، وهو الذي لم يتزوج، كما أعلن ذلك في شعره بقوله:[٢] (البسيط)

كَـمْ وَدَّ لَـوْ كَـانَ مقرونـاً بصـاحبةٍ ... وهـل ينـامُ قريـرَ العـينِ مُنْفَـرِدُ؟

(١) ديوان عذاب السنين ص ٥١.

(٢) ديوان عذاب السنين ص ٨٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لكنَّـــهُ عـــاجزٌ عـــن نَيْـــلِ مَأْرَبِـــهِ وما لَـهُ في تـدبيرِ القضـاءِ يَـدُ

لذا ظل الحجي لاهثا وراء حلمه، باحثا عن قرارة نفسه، دائـم الفكـر فيما يجلب له السعادة، ويحقق له الرضـا، وينتشـله مـن عـالم الشـقاء والحرمان، فرآها حبيبة متمنعة، بعيدة المنال، لا تجـود بالوصـل، فجـاء المعجم الشعري مفعما بالمفردات التي يستعملها الشعراء الغزليون أصـحاب التجارب العذرية العميقة، يقول معبرا عن هذا الأمل البعيد: [١] (الخفيف)

مـــا لِقَلْـــبي يَلِـــجُّ في الخَفَقَـــانِ ولرُوحِـــي تَـــذُوبُ في هَيَمَـــانِ

....

أَلِـــأَنِّي أُرِيـــدُ مـــا لمْ يُـــرِدْهُ[٢] أحـدٌ مـن بَنِـي الـدُّنَى[٣] يـا زَمَـاني

أم لأنَّ الحبيـــبَ قَـــدْ بـــاتَ لا يَرْعَـى ذِمَامـاً لحُـرْمَتي وائْتِمَـاني

فغـــدا الهـــمُّ لازمـــاً لفُـــؤَادي وغـــدا الشـــوقُ آخـــذاً بعِنَـــاني

فالمفردات: (قلبي- يلج- الخفقان- روحي- تذوب- هيمان- الحبيب- يرعى- ذماما- لحرمتي- الهم- لفؤادي- الشوق) أكسبت أسـلوبه نغمـة وجدانية رومانسية عذبة، كما أكسبته رقة وشفافية، وأبانـت عـن لهفتـه المفرطة على الوصال، والقرب من المحبوب الغائب المتمنع، النافر كالغزال.

أعلن الحجي ضعفه واستسلامه: [٤] (السريع)

أغـــدو إلى الـــرَّاحِ لِأَشْـــفِيْ[٥] بهـــا عُمْـــراً غـــدا حُزْنـــاً وأَتْراحـــا

(١) ديوان عذاب السنين ص ١١٧.
(٢) في الديوان: (ما لم يروه)، والصواب ما أثبته.
(٣) في الديوان: الدنايا يا زماني.
(٤) ديوان عذاب السنين ص ١١٨.
(٥) بالتسكين دون النصب ليستقيم الوزن.

فلـــمْ يَـــزَلْ بـــي حُـــبُّكُمْ آخـــذاً حتَّـــى مَلِلْـــتُ اللحْـــنَ والرَّاحـــا
مُنُّـــوا علـــى مُضْـــنَىً بكـــمْ دَنِـــفٌ(١) لـــوْ مـــرّت الـــريحُ بـــه طاحـــا

فالمرأة عنده مثل الطبيعة، معادل موضوعي لسعادته المفقودة، وأمله الغائم، وحلمه البعيد، ولذا تتداخل مفردات الطبيعة بالمفردات الغزلية، كما في قوله:(٢) (السريع)

أراكَ في الـــنَّجْمِ إذا مـــا بـــدا وفي سَـــنَا البَـــدْرِ إذ لاحـــا
وفي ابتســـامِ الزَّهْـــرِ عنـــد الضـــحى وقـــد كَسَـــتْهُ الشـــمسُ أوشـــاحا
فـــاعْطِفْ علـــى صَـــبٍّ غـــدا مُغرمـــاً واجعـــلْ هُمُـــومَ الـــنفسِ أفراحـــا

نجد الحقل الدلالي للطبيعة يصطف مع الحقل الدلالي للمرأة، معبرا عن مأساة الشاعر، من خلال المفردات الطبيعية والغزلية الســهلة الواضــحة: (النجم- سنا- البدر- لاحا- ابتسام- الزهر- الضحى- كسته- الشــمس- أوشاحا- فاعطف- صب- مغرما- هموم- أفراحا)، وقد كان ذلــك مظهــرا واضحا من مظاهر شاعرية الأسلوب، كما قال القرطاجني- يجب أن يكــون الأسلوب شاجيَ الأقاويل مُبكِيَ المعاني مثيرا للتباريح، وأن يكــون بألفــاظ مألوفة سهلة في وزن متناسب ملذوذ(٣) .

(١) في الديوان: (مدنف)، والصواب: (دنف) ليستقيم الوزن.
(٢) ديوان عذاب السنين ص ١١٨.
(٣) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني ص ٣٥١، تحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثالثا: حقل الوطن:

الوطن عند الحجي شيء عظيم، يحتل مكانة سامقة في قلبه، يعشقه ويجله ويقدس ترابه وأرضه، ويحلم له بمستقبل محفوف بالتقدم والرخاء والازدهار، فهو أيضا حقل له مفرداته المعجمية التي تعبر عن هذه الحالة الوجدانية، وعن هذه العلاقة الراسخة بين الشاعر والوطن، فالوطن أيضا من بواعث التجربة الشعرية عند الحجي، لكنها تجربة تتردد بين الألم والأمل؛ الألم حينما يرى شباب الوطن ضائعا، والأمل حين يرى الشباب متطلعا، آخذا بزمام المعرفة، منهوما بالعلم، فقال: [١] (الكامل)

العلمُ يخطُو بالشُّعوبِ ولمْ يَعُدْ ... تحصيلُه سِراً من الأسرارِ
ويُمِيطُ عنْ وَجْهِ الخَفِيِّ قِنَاعَهُ ... حتَّى يُرَى كالصبحِ في الأَسْفَارِ
ويُحَقِّقُ الأملَ البعيدَ مَرامُهُ ... حتَّى يعودَ حقيقةً بِنَهارِ
إنْ لمْ نكنْ بالعلمِ نَشْغَلُ وَقْتَنا ... وحياتَنا ما قيمةُ الأَعْمارِ؟

فالمعجم اللغوي للشاعر المتمثل في ألفاظه: (العلم- يخطو- يميط- كالصبح- يحقق- الأمل- مرامه- يعود- بالعلم- نشغل- وقتنا) يدل على أن الشاعر مهموم بوطنه، متطلع إلى رقيه وترقّيه، وكثرة الأفعال المضارعة له دلالة قوية على أهمية العلم، وقدرة على تغيير الواقع، ونقل المجتمع إلى آفاق أبعد.

ويلهج الشاعر بالحديث عن طبيعة الوطن الساحرة: [٢] (الكامل)

السِّحْرُ فيكَ أراهُ يا وطنَ الهوى ... والمجدِ والتاريخِ والإلهامِ
والزهرُ فوقَ رُباكَ يَأْسِرُ ناظري ... والنخلُ يَنْفُثُ أطيبَ الأنسامِ

(١) ديوان عذاب السنين، ص ٨٥.
(٢) ديوان عذاب السنين، ص ١٢.

يـــا نجـــدُ عنـــدي لســـتِ غـــيرَ خميلـــةٍ مِـــــنْ أَرْزِ لُبْنـــــانٍ وَحُـــــورِ الشـــــامِ

فنجد الطبيعة أيضا ممتزجة مع الوطن، كما امتزجت مع المرأة، فتشكل معجم لغوي حافل بالألفاظ التي تقطر شاعرية، وتفيض رومانسية: (السحر- الهوى- المجد- التاريخ- الإلهام- الزهر- رباك- يأسر- النخل- أطيب- الأنسام- خميلة- أرز)، والشاعر لم تمنعه أحزانه وآلامه الخاصة، من التعبير عن الحب تجاه وطنه، وعن آماله وأحلامه الوطنية، فأوجدت هذه الحالة من العشق والهيام بالوطن والحنين إليه حقلا من المفردات الشاعرية المعبرة بصدق عن عمق التجربة، ودل ذلك على أصالة الشاعر، وكريم طبعه، لأن الوطن هو المنبت والأصل والأرومة كالنسب الذي يشرف به كل إنسان، وقد قيل: يحنُّ اللبيب إلى وطنه، كما يحنُّ النَّجيبُ إلى عطنه [١].

والوطن عند الحجي كذلك هو صباه ومرتع لهوه، يحن إليه فتفيض دموعه، وتسيل على خده، وكأنما ذكر محبوبه المتمكن في قلبه، المستحوذ على جوارحه ووجدانه، الذي تيمه وأهامه على وجهه، فقال: [٢](الطويل)

إذا ذُكِـرَتْ نَجْـدٌ ذَكَـرْتُ بهـا الصِّـبا فأرسلتُ دمعَ العينِ يجري على خَدِّي

أَحِـنُّ إلى تلـكَ الرُّبـا وفَضَـائِها وطائرِها والرَّمْلِ والسَّهْلِ والوَخْدِ[٣]

حنينـاً لـوْ أنَّ الـريحَ تَحْمِـلُ بعضَـهُ إلى سَـاكِني نجـدٍ لـذابوا مِـنَ الوَجْـدِ

لقد أفصحت مفردات الحجي في هذه الحقول الثلاثة الرئيسة في ديوانه عن تميزها بشاعرية مرهفة، خفيفة، واضحة، سهلة، ذات عذوبة وخصوبة، منبعثة عن عاطفة قوية، اكتسى بها الأسلوب فجاء سلسا رقراقا.

---

(١) ينظر: رسائل الجاحظ: ٣٩١/٢، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.
(٢) ديوان عذاب السنين، ص ٦٣.
(٣) الوَخْدُ ضرب من سير الإبل وهو سَعة الخَطْو في المشي. ينظر: لسان العرب (وخد).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني: شاعرية العاطفة:

العاطفة في العمل الأدبي هي لُبُّه وجوهرته النفيسة، يتوهّج بها، ويرتوي من معينها؛ فكلما علّ من هذا المعين، ازداد بريقه، وتفتحت أكمامه، وصار أنضج وأقوى تأثيرا في النفوس؛ فقد خلّدت العاطفة كثيرا من الأعمال الشعرية على مدى العصور، يرويها المتلقون بحس وذائقة ونفس متململة مما بها من عاطفة صادقة وهّاجة.

وقد تحدث النقاد عن أهمية العاطفة في العمل الشعري، وأدركوا أن الطبع الموهوب لا يكفي وحده للتغريد بالشعر، بل لابد من مثير يدفع إلى قرضه، وهو ما يسمى بالانفعال أو العاطفة، وقد أطلق عليها النقاد القدامى "قواعد الشاعر"، ويقصدون بها البواعث والدوافع التي تحرك مكامن الإبداع في نفس الشاعر(١).

والعاطفة في شعر الحجي تؤدي دورا مهما في نضج القصيدة، وتزيد من حرارتها وحيويتها، وتنفث فيها رُوحا قوية وثّابة؛ فهو شاعر لا يقول إلا ما يُحس به إحساسا قويا، وينفعل به انفعالا كبيرا، ومن ثم صدر شعره عن هذه العاطفة القوية الصادقة، المعبرة عن نفسه، الممزوجة بأعصابه، وليس ذلك فقط في تجربته الأليمة التي عبر فيها عن الانكسار واليأس والشقاء، بل في كل تجاربه الاجتماعية والوطنية والقومية وغيرها، بيد أن الحزن كان أكثر التجارب نصاعة، وأقواها عاطفة؛ لأنها التجربة الأقوى في ديوانه من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنها تجربة وِجدانية تعلق بها القلوب، وتتطلع إليها النفوس، وتكثر فيها الدلالات النفسية والعاطفية؛ "فالتعبير عن الوجدان

(١) ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، د/ أحمد بدوي: ٥٠٢، دار نهضة مصر ١٩٩٦م.

يستلزم ألفاظا ذات دلالات نفسية وشعورية خاصة قادرة على نقل أحاسيس الشاعر، وعلى التأثير في نفس القارئ أو السامع ، لتُحدِث عنده إحساسا مماثلاً ، وتنقل إليه تجربة الشاعر كاملة" [١].

ومن قصائده التي عبر فيها عن هذه العاطفة الأليمة قصيدة بعنوان "ديواني"، يقول فيها:[٢] (السريع)

راجعتُ دِيوَاني فَلَمْ أَلْقَ فِي ... أَوْرَاقِهِ إِلّا أَغَاني حَزِينْ
قَرأتُهُ فَارْتَعْتُ مِنْ بُؤْسِ مَن ... سَطَّره بَيْنَ الأَسَى والأنِينْ
مَن قائلُ الشعرِ؟ ومَنْ ذا الذي ... أيامُهُ نَوْحٌ ودَمْعٌ سَخِينْ؟
هذا أَنَا قَدْ هَدَّ جِسْمي الأَسَى ... والقلبُ باكٍ مِنْ عَذابِ السِّنينْ

فالشاعر يعاود النظر في شعره، فيجده شعرا حزينا، فيرتاع مما فيه من بؤس، ويتساءل عن القائل وعن هذا الإنسان الذي يعيش كل أيامه في نوح وبكاء ودمع سخين، كأنه ينكره، إذ لا يصدق أنه هو نفسه القائل البائس، ثم يعود فيزيد ديوانه أسى باعترافه أنه صاحب الشعر، فقد هدَّ الأسى جسمه، وأبكى عذاب السنين قلبه.

ثم يقول:

يَا نَفْسُ إنْ كانَ رَبِيعي ضَنىً ... فمِن خَرِيفِ العُمْرِ مَا تَأْمُلِينْ؟
يا مُقْلَتِي إنْ لَمْ تَرَيْ في الضُّحى ... شيئاً فماذا فِي الدُّجَى تُبْصِرِينْ؟
يا أُذُنِي لا اللحْنُ يُشْجِي ولا ... هَمْسُ الهَوى يُشْجِي فهَلْ تَطْرَبِينْ؟

(١) الشعر العربي المعاصر: روائعه ومدخل لقراءته، د/ الطاهر أحمد مكي: ٧٦، دار المعارف– القاهرة– الطبعة الرابعة ١٩٩٠ م.
(٢) ديوان عذاب السنين ص ١٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يـــا قَـــدَمِي أَدْمَـــاكِ عُشْـــبُ الفَـــلا فهـــلْ عَلَـــى الشَّـــوْكِ إِذَنْ تَخْطِـــرِينْ؟

فيواصل الشاعر العزف على أوتاره الحزينة، فينقل لنا هـذه التجربـة المؤلمة نقلا دقيقا حزينا، يزيد في حدة الحزن كثرة الألفاظ الحزينة، وكثـرة الأساليب الإنشائية المتعاقبة، كالنداء، وهو نداء لبعض أعضاء جسـده، دالٌّ على أن الشاعر يعاني العزلة والحرمان، يعيش في انقباض وإحساس قاتـل بالوَحدة، وكالاستفهام الإنكاري الذي يزيد المعنى قوة ووضوحا.

ويستمر بكاء هذا الشاعر الحزين، فلا يرى في العيد بهجة ولا سعادة، فيخاطبه على سبيل التشخيص الاستعاري قائلا:

يـــا عيـــدُ وَافَيْـــتَ فالأشـــجانُ مُرْخِيـــةٌ سُـــدولَها ونعـــيمُ الـــرُّوحِ مفقـــودُ
لا الأهـــلُ عنـــدي ولا الأحبـــابُ جِيرَتُهـــمْ حَـــوْلِي فقلـــبي رهـــينُ الشـــوقِ مَفْـــؤودُ
العـــينُ ترنـــو وطـــولُ البَـــيْنِ فاجِعُهـــا حَسْـــرَى وإنســـانُها بـــالأُفْقِ مَعْقُـــودُ
تَجـــري دُمـــوعي دمـــاءً في مَحَاجِرِهـــا علـــى وِســـادي لهـــا صَـــبْغٌ وتَسْـــهِيدُ
أُمْسِـــي وأُصْـــبِحُ والأحـــزانُ تُحـــدقُ بـــي لا الـــروضُ يُجـــدي ولا القِيثَـــارُ والعـــودُ

تنصاع الألفاظ للشاعر، وتنقاد له الأساليب، فيسـتطيع التعبيـر عـن تجربته، والإفصاح عن عاطفته المشبوبة، التي تشتعل في قلبه، وتنداح في أحشائه، بتدفق هادر، وتحدّر متواصل لموجة كاسحة مـن الحـزن والألـم الممض، وهو ما أمكن من خلاله ملاحظة تحقق المقاييس النقدية الخاصـة بالعاطفة في شعره، من الصدق والقوة والاستمرارية.

ويمكن ملاحظة ذلك أيضا في أغراضه الأخرى، فالعاطفة الوطنية عند "الحجي" عاطفة قوية أيضا، تمتزج بحسه الديني والاجتماعي والقومي، وتدل على أنه مهموم بقضايا الوطن والأمة، يحن إلى وطنه فيقول:[١](الطويل)

إذا ذُكِرَتْ نَجْدٌ ذَكَرْتُ بها الصِّبا ... فأرسلتُ دمعَ العينِ يجري على خَدِّي

أَحِنُّ إلى تلكَ الرُّبا وفَضَائِها ... وطائرِها والرَّمْلِ والسَّهْلِ والوَخْدِ(٢)

حنيناً لوْ أنَّ الريحَ تَحْمِلُ بعضَهُ ... إلى سَاكِني نجدٍ لذابوا مِنَ الوَجْدِ

فيصدر عن تجربة قوية، وعاطفة متدفقة، تُسمع رجيف قلبه، وتحاكي صدق إحساسه في الحنين إلى هذا الوطن، الذي يحمل ذكريات الصِّبا، فتنساب دموعه على خده حنينا إلى هذه الأماكن كلها.

ويقف مفتخرا مزهوا حينما يتم افتتاح جامعة الرياض، فيقول: [٣] (البسيط)

في مَوْكِبِ البعثِ غَنِّ الشعرَ تغريدا ... وأرسلِ اللحنَ في دُنياك تَرْدِيدا

وأَسْمِعِ الكونَ أنغاماً مرتلةً ... وامْنَحْ خيالَكَ أُفْقاً ليسَ مَحْدُودا

فقدْ رأيتُ بأرضِ العُرْبِ جامعةً ... قدْ شَيَّدُوها على الإيمانِ تَشْييدا

تُلقِّنُ العلمَ تبغي رفعَ مِشْعَلِهِ ... لِتَبْعَثَ الفكرَ إيجاداً وتَجْدِيدا

(١) ديوان عذاب السنين، ص ٦٣.
(٢) الوَخْدُ ضرب من سير الإبل وهو سَعة الخَطْو في المشي. ينظر: لسان العرب (وخد).
(٣) ديوان عذاب السنين، ص ٦٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فيعبر عن عاطفة الفرح والسعادة التي غمرته، وجعلته يغني شعره ويغرده، ويرسل ألحانه ويرددها، ليسمع الكونُ كلُّه بهذه الجامعة التي قامت في بلاد العرب.

ومن نماذجه في هذه العاطفة- أعني عاطفة الفرح والسعادة- قوله إبّان ثورة الشعب الجزائري:

أمسيتُ أَرْتَقِبُ الصباحَ طَوِيلا ورأيتُ لَيْلِي في المسيرِ طويلا
حتَّى بدا الفجرُ الضَّحُوكُ فَأَبْصَرَتْ عيناياَ صُبْحاً باسماً وجميلا
يومُ الجزائرِ قدْ أطلَّ كأنَّهُ عِيدٌ يُصَافِحُه الوَرَى تقبيلا

فالشاعر طروب بهذه الثورة، التي كانت فجرا ضحوكا طال انتظاره، وصبحا باسما جميلا يُترقب قدومه، وعيدا له عند الورى جميعا لهفة عاشق غاب طويلا؛ لأنها أعادت للشعب كرامته وعزته.

وحين يتحدث "الحجي" عن قضية "القدس" نجده غاضبا منفعلا حين يقول:[1] (الوافر)

شبابَ العُرْبِ كمْ لِي مِنْ شُجُونٍ وآلامٍ يضيقُ بها الفُؤادُ
فهذي القُدْسُ قدْ صارتْ مقاماً لِصُهْيونٍ وطابَ لها المَعَادُ
وفي الوطنِ السَّليبِ لنا أُسُودٌ تَرومُ الموتَ أو تُفدَى البلادُ
فمَنْ بالمالِ ضَحّى فهْوَ شَهْمٌ ومَنْ بالروحِ جادَ هُوَ الجَوَادُ

(١) ديوان عذاب السنين ص ٧٣.

فالعاطفة في هذه الأبيات هي عاطفة الغضب، التي انتابت الشاعر حينما ذكر ما حل بالقدس من اغتصاب وامتهان من قبل الصهاينة الغاصبين، فيستنهض همم أبناء قومه للجهاد بالنفس والمال، فكلاهما مطلوبان.

ويشتد به الغضب في قصيدة أخرى بعنوان: "زمر الشباب"، فيقول في هذه القضية الكبرى أيضا: ":[1] (الكامل)

القُدْسُ تَنْعِي أهلَها وحُمَاتَها ... وتُسائِلُ التاريخَ والأيَّاما
عَبَثَتْ بها أيدي اليهود فأُحْرِقَتْ ... ثَكْلَى تذوق مهانةً وحِماما
عَلِقَتْ مخالِبُهم بها فتمزَّقَتْ ... مُذْ حَطَّمُوا عزماتِنا والْهاما(٢)
ما عَزّ قومٌ بالكلامِ وإنَّما ... بفِعَالهمْ يتسلَّمون زِماما

فالشاعر يرى عز قومه ورفعتهم في الذود عن حماهم، والدفاع عن حقوقهم، وردع الأعداء ردعا قويا زاجرا.

من خلال هذه القصائد يتضح أن العاطفة في شعر "حمد الحجي" عاطفة صادقة قوية مؤثرة، متفاعلة مع قضاياه الذاتية والوطنية، أشعلت القصيدة الشعرية عنده بوقود وِجداني، صادق الحس، فزاد ذلك من شاعرية القصيدة، وجعلها قريبة من المتلقي، موصولة بقلبه ووجدانه؛ لأن العاطفة أهمُّ عناصر الشعر، وبدونها يكون الشعر صورا جامدة، وقوالب جوفاء، لا تحرك الإحساس، ولا تثير الشعور، وهذه هي قيمة العمل الأدبي الكبرى.

(١) ديوان عذاب السنين ص ١٠٣.
(٢) في الديوان: (واتهاما)، وأرى صوابها ما ذكرت.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثالث: شاعرية الصورة:

تقوم الصورة بوظيفة حيوية في الأداء الشعري، تتمثل في خرق النظام الدلالي للغة، والتمرد على دلالاتها الوضعية، التي تنحصر في حدود ضيقة، لا يمكن أن تعبر عن حاجيات البيان الأدبي المتنوعة الكثيرة اللامتناهية في ملاحقتها للمشاعر والأحاسيس، وتعقيدات النفس البشرية، فتأتي الصورة بروابطها الجديدة، وعلاقاتها غير التقليدية، لتبني جسورا شاعرية جديدة بين الأشياء، بين الحسي ونظيره، والمعنوي ونظيره، وكذا بين الحسي والمعنوي، وتجمع بين المتباينات والمتناقضات.

والمبدع يدرك قيمة الصورة، وقيمة وجودها في النص الشعري، ومن ثم فإنه لا يتنازل عن وجودها في بيانه، ولا يفرط في حضورها في نصِّه، بل يحرص عليها حرصا كبيرا؛ لأنها مناط تميزه وتفرده وتأثيره في المتلقي، "إنّ تمييز النص الشعري وخصوصيته تنطلق من قدرة الشاعر على التلاعب بالألفاظ، وتشكيل بنية خاصة به، وهذا لا يتم بلغة عادية، ولا بصورة تقليدية مألوفة، لذلك جاء تشكيل الصورة جزءاً هاماً في تشكيل النص الشعري، وإضفاء سمات إنسانية عليه، تمنحه نضجاً فكرياً وفنياً واضحاً، وتجعله أكثر التصاقاً بالشعريّة"(١).

والعمل الشعري قائم على التصوير والخيال، فهما أساس الفن والإبداع والإلهام الأدبي، تتموج الصورة بألوانها الكثيرة تبعا لما في نفس الشاعر من أفكار وعواطف، "ومن هنا نرى أن صدق الصورة عند شاعر ما، يكون

(١) شعريّة الصورة في شعر عبد الرحيم عمر.. ديوان «بعد كلّ ذلك» نموذجاً:
https://www.addustour.com/articles/١٠٢٤٢١٩-%D%٨B%٤D%٨B%٩١%٩ %٩D%٨A٩-

بمقدار قدرتها على تمثيل نفسه، لأن مواد الصورة حينئذ ليست من الواقع، بل أصبحت من نفس الشاعر ودمه وعقله وروحه، وإلا كان مقلدا وتابعا"[١].

والصورة في ديوان "عذاب السنين" معبرة بصدق عن نفس صاحبها المعذبة، الباحثة عن السعادة في كل ما حولها من عناصر الوجود، ومن ثم راح الشعر يجسد تجربته من خلال تجسيد ما يلاقي من الهموم والأوصاب، فيقول: [٢] (البسيط)

نَعَمْ شَرِبْتُ كُؤُوسَ الهَمِّ مُترَعَةً حَتَّى كَأَنِّي مِنَ الأَوْصَابِ عِرْبِيدُ
كَأَنَّنِي شَبَحٌ فِي الليلِ مُنْتَصِبٌ أَرْعَى النُّجُومَ وحُلمُ النفسِ مَوْؤُودُ

فالهم وهو شيء معنوي، قد أصبح شرابا محسوسا يتجرع الشاعر كؤوسه المترعة، حتى صار عربيدا سكرانا لا يعقل، أو كأنه شبح من أشباح الليل التي تسكن العراء، ترعى النجوم، ولا تأمل في جديد ينتشلها مما هي فيه، حيث إن الأمل موؤود، فلا عودة له.

فاشتملت الأبيات على جملة من الاستعارات والتشبيهات التي خرجت عن سياقات اللغة الوضعية، وأنساقها النمطية المعتادة، فحفزت من جمالية النص، وفتحت باب التذوق والتخيل، وأعمقت قعر المعنى، وأبعدت مراميه.

يقول الحجي عن هذه التجربة الأليمة أيضا:[٣] (الكامل)

يا رب ها سور النوائب حاطني فافتح لعبدك كُوّةً في السُّور

(١) الصورة الأدبية تأريخ ونقد، د/على علي مصطفى صبح، ص١٧٤، دار إحياء الكتب(د. ت).
(٢) ديوان عذاب السنين ص ٥٩.
(٣) ديوان عذاب السنين ص ٧٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي قوله: :[١] (الخفيف)

وليـــالٍ بالشـــوق قـــد أحـــرقتني فعلـــى حـــر جمرهـــا أتقلـــبْ

طوّقتنـــي الأحـــداث منـها فبـــاتت لـيس منهـا منجـى سـوى قـول: يـارب

يعطي الشوق خاصية النار لذعا وإحراقا، فلياليه محرقـة بأشـواقها، يتقلب على حر جمرها، وأحداثها تحاصره، وتطوقه، وكأنما هـو سـجين لا يستطيع فكاكا، وهي صورة تشخيصية، نقلت المعنوي إلى الحسي، فالشوق صار نارا وجمرا، وهذا ما أكسب المعنى شاعرية قويـة، وأضـفى عليـه إحساسا عميقا، ينقل التجربة إلى المتلقي، ويجعلها أقوى تأثيرا في نفسـه ووجدانه.

وقد اعتمد "الحجي" كثيرا على التشخيص في شعره، وهو ليس وحيدا في هذا الباب، لأن هذه هي اللغة المجازية التي تفيض رقة وشاعرية، وقـد استخدم القرآن الكريم التشخيص بمعناه المتعارف عليه في كثير من آياتـه، كما في قوله تعالى: "وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ"[٢]، يقول أبو السعود في تفسـيره: "ومعناه أن الصبح إذا أقبل يقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلـك نفسـا لـه مجازا فقيل تنفس الصبح"[٣]، وهو طريق الأدباء وسبيلهم في إبراز المعاني الجائلة في النفس، كما نرى ذلك على سبيل المثال واضـحا فـي قصـيدة "الأطلال" لإبراهيم ناجي؛ فلا يخلو بيت من أبياتها من التشخيص الذي كـان

(١) ديوان عذاب السنين ص ٩٧.

(٢) سورة التكوير: ١٨.

(٣) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكـريم): ١١٨/٩، محمـد بـن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت (د.ت).

عونا للشاعر على التعبير عن أحاسيسه ومشاعره الملتهبة في نفسه، المائرة في وجدانه، وكله نوع من الاستعارة، وفيها يقول الجرجاني: "ومن خصائصها التي تُذكرَ بها، وهي عنوان مناقبها، أنَّها تُعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرجَ من الصدَفة الواحدة عِدّةً من الدُّرَر، وتَجْنِيَ من الغُصْن الواحد أنواعاً من الثَّمر"(١)

وللحجي في ذلك طريقة لطيفة، حيث يضم كثيرا من الاستعارات في أبيات متجاورة، وقد يتناسى الاستعارة الواحدة، ويأخذ في ترشيحها، وفي هذا دليل على سَعة خياله، وقوة بيانه، ونضج تجربته، واستبداد الفكرة بعقله، وخاصة إذا عرفنا أن هذا الشاعر ذو نفس جريحة معذبة، يسيطر عليها البؤس والحرمان، فكان لذلك أثر قوي في بيان ما يلاقي من آلام، وما يكابد من أحزان، فكأنما لم تسعفه اللغة باستعمالاتها الحقيقية، وتراكيبها المعيارية للإفصاح عن أحواله النفسية، ومعانيه الخفية، ومن ذلك قوله:(٢)
(المتقارب)

طغت موجة الحزن في خاطري ... فأغرقت الفرحة الطافحهْ
طوى الدهرُ أيامَيَ الباسمات ... ووافَى بأيامي الكالحه
بلَوْتُ ملوحةَ هذي الحياةِ ... ولم تك من قبل بالمالحه
فلست أعيش ببعض الرجاءِ ... ولا صفقتي في الهوى رابحه

(١) أسرار البلاغة للجرجاني: ٤٣، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
(٢) ديوان عذاب السنين: ٢٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالشاعر هنا يجعل الحزن في نفسه موجا قد غرقت فيه بسمته وفرحته، بل أيامه الباسمات، ويجعل الدهر ذا قدرة على طي الأيام الجميلة في تقلبه وكرّه، كما أن الحياة شراب يذاق، لكنه شراب مالح غير مستساغ، والهوى سوق أو سلعة لا يجيد الحجي البيع والشراء فيها.

وتستبد الحيرة والآلام بالشاعر أيضا في قوله:(١)

حيران من ثورة آلامي ... من عصفة الدهر بأحلامي
من ضجة الشوق بروحي وما ... أرى سوى آثار أقدامي
آثارِ أقدامِ هوى راحل ... يبكي عليه الخافق الدامي
شبّتْ صباباتي ولا موردٌ ... يُطفي جحيم المدنَف الظامي
الجدول الرقراق ماتت به ... أمواهه فاعتل قُدّامي
قد صوّح الروضُ وكم وقفةٍ ... فيه تولّتْ غسلَ أقدامي

فالآلام ثائرة، والدهر عاصف بالأحلام، والشوق يضج بالروح، والهوى راحل، لم يبق منه سوى آثار أقدام، والخافق يبكي على رحيل الهوى، والصبابة حريق في جوف الشاعر ولا مورد ماء يطفئ هذا الجحيم، والجدول ماتت به الأمواه بعدما كان رقراقا جاريا، فأصبح عليلا، والروض قد صوّحت أشجاره وأزهاره، بعدما كان يغسل الأذى في أقدام الشاعر.

اللوحة والصورة الكلية تنطق بالأسى والحزن، وتعبر عن مرارة قاتمة، وألم مُمِض؛ فهي غائمة كئيبة، تشتمل على صور جزئية استعارية تشخيصية، تتعاضد وتتساند في الدلالة على المعاني الحزينة التي أراد

(١) ديوان عذاب السنين: ٥٧.

الشاعر إبرازها، وهي أكثر انفعالا وتعبيرا عن حالة الشاعر، فالحزن والألم يأخذان من عقل الشاعر، ويجعلانه يحلق بخياله بعيدا عن المنطق والواقع، فيأتي المنتج اللغوي منسجما مع الحالة النفسية والشعورية التي يعيشها، تظهر فيه رنّة الحزن قوية مدوية.

والصورة في جميع أغراض الشاعر حاضرة قوية تضفي على المعنى جمالا وشاعرية، لكنها تتفاوت في هذه القوة بتفاوت تجربة الشاعر وعاطفته ودرجة انفعاله؛ ففي قصيدة يشدو فيها بحب الوطن يقول:[١] (الكامل)

وَطَنِي فَدَيْتُكَ أيُّ مَغْنَى فِتْنَةٍ ... تَزدادُ جِدّتُها على الأيَّامِ
أيُّ المَرابِعِ فيكَ لمْ تَهْتِفْ بِهِ ... وَرْقاءُ ذاتُ تَفَجُّعٍ وهُيَامِ
غَنّتْ على الفَنَنِ الوَرِيفِ ظِلالُه ... فَرَوَتْ مَفَاخِرَ شَادَها أقْوامِي
السِّحْرُ فيكَ أراهُ يا وطنَ الهوى ... والمجدِ والتاريخِ والإلهامِ
والزهرُ فوقَ رُباكَ يَأْسِرُ نَاظري ... والنخلُ يَنْفُثُ أطيبَ الأنسامِ
يا نجدُ عندي لستِ غيرَ خميلةٍ ... مِنْ أَرْزِ لُبْنانٍ وَحُورِ الشامِ

فالشاعر يخاطب الوطن ويفتديه بروحه، ويراه مغنى فاتنا يزداد سحره وجماله على الأيام، تهتف الحمامات في ربوعه كلها معلنة تفجعها وهيامها، وغنت بالمفاخر والمآثر القديمة على أفنانه وريفة الظلال، ففيه السحر والمجد والتاريخ والإلهام، والزهر يأسر نظر الشاعر بألوانه الخلابة، والنخل يرسل شذى طيبا في كل مكان، فما نجد إلا خميلة جميلة من خمائل لبنان البديعة المكتظة بأشجار الأزر.

---

(١) ديوان عذاب السنين، ص ١٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالصورة ذات حضور قوي، تتفاعل مع عاطفة الشاعر، وتتعاون معها في إنتاج النص، وتتعانق مع نفسه وتجربته، فتنقل هذه التجربة من عالم الشعور الواقع في النفس إلى عالم الإبداع، "ومن هنا نرى أن صدق الصورة عند شاعر ما، يكون بمقدار قدرتها على تمثيل نفسه، لأن مواد الصورة حينئذ ليست من الواقع، بل أصبحت من نفس الشاعر ودمه وعقله وروحه، وإلا كان مقلدا وتابعا"[١].

(١) الصورة الأدبية تأريخ ونقد، د/ على علي مصطفى صبح، ص ١٧٤.

المبحث الرابع: شاعرية الإيقاع:

الإيقاع ميزة شعرية، تعطي الشعر تميزه وتفرده عن النثر، فالأوزان الشعرية الخليلية لا يعرفها النثر، وإن اشتمل على المحسنات البديعية وبعض المظاهر الصوتية، فهي ليست كموسيقى الشعر بقواعدها وأصولها المعروفة، ومع دعوات التجديد في العصر الحديث في الموسيقى الشعرية، والتي لاحت بوادرها منذ العصر الأندلسي من خلال الموشحات، تعددت صور الموسيقى في الشعر وَفقا لهذه الدعوات، فظهرت الرباعيات والخماسيات والسداسيات وظهر الشعر المرسل عند جماعة أبوللو والشعر المنثور، ومنها ما هو مقبول كتب له البقاء، ومنها ما اندثر ولم يلق قبولا عند الناقد والمتلقي.

وتمسك جمهور الشعراء بالأوزان الشعرية، وظل الشعر محتفظا بموسيقاه، ونبذ النقاد الصور التي تجرد الشعر من هذه الخاصية الذاتية لهذا الفن الأدبي الذي حمل في ثناياه على مدار قرون طويلة تاريخ العرب والمسلمين، واحتفظ ببيان ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ونقل تجاربهم العاطفية والوطنية والاجتماعية في حلهم وترحالهم.

الإيقاع الشعري إذن ليس عنصرا عبثيا، كما رأى بعض النقاد في العصر الحديث الذين نادوا بتحرير القصيدة الشعرية من قيود الوزن والقافية، بل هو عنصر فعّال في أداء المعنى، له وظيفة أساسية، وهي: "التعبير الفني عن العواطف الإنسانية"[(١)]، فتبقى هذه الدعوات دلالة على عدم إدراك هذه الوظيفة، أو دلالة على ضحالة موهبة بعض الشعراء الذين

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي: ٣٢١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

انساقوا وراء هذه الدعوات، ورأوا الموسيقى الشعرية عائقا يحد من حرية المبدع، حتى انتهى بهم الأمر إلى ما يسمى بقصيدة النثر.

ولئن كان من الضروري تطور الشعر شكلا ومضمونا، فإن من الضروري الإبقاء على هذه الموسيقى التي تضع حدا فاصلا بين الشعر وغيره، وقديما عرفوا الشعر بأنه "قول موزون مقفى يدل على معنى"(١)، ولست بصدد مناقشة هذا التعريف وما به من قصور، ولكني بصدد التدليل على إدراك نقادنا أهمية هذا العنصر في حد الشعر، حتى أقاموا التعريف عليه، ووجهوا اهتمامهم به دون غيره، لأنهم لم يعرفوا الشعر إلا موزونا مقفى، ومن ثم فالشعر يتطور ولكنه لا يفقد موسيقاه، فقد جاءت الأوزان في ستة عشر بحرا لتتناغم مع الموضوعات والحالات النفسية المختلفة للشعراء، وإن تسامح النقاد في أمر القافية، فقبلوا منها صورا كثيرة مستحدثة، فإنهم لم يتسامحوا فيما يتعلق بالأوزان والتفعيلات، لأنها أساس النغم والإيقاع.

وباستقراء ديوان "عذاب السنين" للشاعر "حمد الحجي" نجد أنه شاعر كلاسيكي الشكل في التزامه بموسيقى الشعر الموروثة، وبحوره الشعرية المعروفة، لم يخرج عن طريقة الأوزان الخليلية العمودية إلا في ثلاثة نصوص: نصان على طريقة الشعر الحر، ونص على طريقة الموشحة الأندلسية، ففي الشعر الحر جاءت قصيدته الأولى بعنوان: "رسالة حب"، وتبلغ ستةً وثلاثين بيتا، ومطلعها:(٢) (على نسق تفعيلة مستفعلن)

(١) نقد الشعر، قدامة بن جعفر: ٣، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، الطبعة: الأولى، ١٣٠٢هـ.
(٢) ديوان عذاب السنين ص ٢٠.

آه

ما أعمقَ الجِراحَ يا جِراحي

ما أتعسَ العَيْشَ بِلا آمالٍ

ما أظلمَ الحَياةَ

ما أشدَّ اسودَادَها في العَيْنْ

كيف قسوتَ كلَّ هذهِ القَسَاوه

فارقتَني ما قُلتَ لي وداعاً

ليتكَ قُلْتَها

كيْ يَحْمِلَ الفُؤَادُ هَوْلَ الكَارِثَهْ... إلخ.

والقصيدة الثانية بعنوان: "ليل الاستعمار"، وأبياتها واحد وستون بيتا، ومطلعها:[١] (على نسق تفعيلة متفاعلن)

وسَمِعْتُهُ والليل يَعْلُوهُ السكونْ

والظلمةُ السوداءُ جلّلتِ السُّهُولَ مع الحُزُونْ

يَدْعُو على المُستعمِرين

ويُضَمِّدُ الجُرْحَ العميقَ بصدرِهِ

ويُقاتلُ المُتَحكِّمينَ بأمرِهِ

ويُرَدِّدُ الصَّيْحَاتْ... إلخ.

---

(١) ديوان عذاب السنين ص ١٢٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أما القصيدة الثالثة التي جاءت على نظام الموشحة فهي بعنوان: "تباريح"، ومطلعها:[١] (مجزوء الرمل)

أَيْنَ تلكَ الجَنَّةُ الخَضْـ (م) راءُ قَطَّفْتُ جَنَاهَا

لَكَأَنِّي آدمٌ أُهْـ (م) بِطَ مِنْ عَالي ذُرَاهَا

لِلسُّفُوحِ(٢)

وما عدا ذلك من شعر "الحجي" فهو شعر خليلي، تؤدي الموسيقى فيه دورا أساسيا في صناعة المعنى، والإفصاح عن العاطفة، والتعبير عن المعاني الكامنة في النفس، حيث يستخدم الشاعر الأوزان التامة سواء أكانت مركبة أم بسيطة، كما استعمل البحور المجزوءة كذلك، في تنوع يدل على ثراء تجربة الشاعر، وتعدد المواقف، واختلاف الشعور الوجداني لدى الشاعر.

نجده في القصائد التي تفيض أسى وشجى يؤثر البحور التامة على غيرها، ومن ذلك قصيدته "يا بدر" التي يقول في مطلعها: [٣] (الكامل)

يا بدرُ إنَّكَ في الظَّلامِ سَمِيري ... ما لي سِواكَ مُنَاغِماً لِشُعُوري

أَرْنُو إليكَ وَمِلْءُ بُرْدِي وَحْشَةٌ ... فأعودُ مَوْسُومَ المُنَى بِالنُّورِ

يا بدرُ إنِّي في الحياةِ مُعَذَّبٌ ... أَحْيا على هذا الثَّرَى كَأَسِيرِ

(١) ديوان عذاب السنين، ص ١٨.

(٢) يسير فيها الشاعر على هذا النمط، فيأتي ببيتين على قافية واحدة، تتغير كل مقطع، لكنه يقفل بتفعيلة يلتزم فيها قافية واحدة طول القصيدة، وهي قافية الحاء.

(٣) ديوان عذاب السنين، ص ٧٠، ٧١.

مَـن لـي بمِنطـادِ(١) يُجـنِّح بـي علـى هَـذِي الجِـواءِ بعَيْشِـيَ المَيْسُـورِ
لا أَلْمَـحُ الإنسـانَ في أَرْجائهـا أبـداً ولا آسَـى علـى مَقْبُـورِ
إنِّـي سَـئِمْتُ مِـن الأنـامِ ومكـرِهم ورأيـتُ رُوحـي في حَشَـا تتنُّـورِ

يبوح الشاعر بما في نفسه من أشجان وأحزان للبدر، فيناجيه ويتخذه سميرا، ويعلن راحته في النظر إليه من عذاباته وآلامه، ويقص عليه قصته الحزينة، وتوجسه من عالم البشر، حيث مل منهم، وسئم غدرهم ومكرهم، كل هذا الانكسار يحمله بحر الكامل التام، بحركاته وسكناته الكثيرة التي تساعد على البوح والإفضاء بسرائر النفس.

ويعزف أيضا على أوتار الحزن في قصيدته: "الروضة الشاعرة المحتضرة" على موسيقى بحر الكامل، فيتمتزج بالطبيعة، ويتفاعل معها، ويشخص الروضة التي جفت أوراقها، ويحكي حزنها الشديد، في هذه القصيدة التي مطلعها: "(٢).

مـا لِلْجَفَـافِ أَحـالَنِي حَطَبـاً وأَتَـى علـى وَرَقِـي وأَغْصَـانِي

وله قصيدة تعد من أبرز قصائده وأشهرها بعنوان: "في زمرة السعداء"(٣)، جاءت على بحر الطويل، يقول فيها:

أَأَبْقَـى علـى مَـرِّ الجديـدينِ في جـوىً ويَسْـعَدُ أقْـوَامٌ وَهُـمْ نُظَرَائِـي؟

(١) المِنْطادُ: وِعاء كُرويّ الشكل، يُملأ بغاز أخفَّ من الهواء فيطير في الجوّ حاملاً في أسفله سلَّة كبيرة مربوطة من جميع جوانبها بالحبال تستعمل في الركوب ونحوه. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر: ١/١٥٥.
(٢) ديوان عذاب السنين، ص ١٤.
(٣) ديوان عذاب السنين، ص ٣٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ألستُ أَخَاهُمْ قَدْ فُطِرْنَا سَوِيَّةً ... فكيفَ أَتَانِي في الحياةِ شَقَائي؟
أَرَى خَلْقَهُمْ مِثْلِي وَخَلْقِي مِثْلَهُمْ ... ومَا قصَّرتْ بِي هِمَّتِي وذَكَائي
يَسِيرونَ في دَرْبِ الحياةِ ضَوَاحِكاً ... على حِينَ دَمْعِي ابتلَّ منه رِدَائِي
أَكَانَ لِساني أَنْ نَطَقْتُ مُلَعْثَماً؟ ... وكَانوا إذا نَاجَوْا مِنَ الفُصَحاءِ؟
وَهَلْ كُنتُ إمَّا أُشْكِلُ الأَمْرُ عَاجزاً، ... وكانوا لَدَى الجُلَّى مِنَ الحُكماءِ؟

يوازن بين حاله وحال أقرانه من الذين أنعم الله عليهم بأن يعيشوا سعداء، أو حياة طبعية، فينفث زفرات حزينة لاعجة، فكان بحر الطويل مناسبا أيضا لهذه الزفرات الحزينة، وهو غرض قوي فخم يتناسب مع الموضوعات الجادة عموما، يقول د/ عبد الله الطيب بعد أن أورد قصيدة لامرئ القيس في رثاء عمه وهجاء خصومه: " فهذا كلام مهتاج فخم يناسب بحر الطويل بخلاف المتكفيء المتكسر الذي كأن صاحبه يرقص على دقات طبل"(١)

وهذا لا يعني أن الشاعر لم يقل شعرا حزينا إلا في هذه البحور، بل إنه قد نوع في موسيقاه في تعبيره عن الحزن، فقال على مشطور المتدارك:(٢)

أَمْطَرَتْنِي الأَسَى هَاطِلاتُ الدِّيَمْ
وكَسَتْنِي البِلَى حَالِكَاتُ الظُّلَمْ

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب، د. عبد الله بن الطيب المجذوب: ٢٢٣/١، دار الآثار الإسلامية، وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م.

(٢) ديوان عذاب السنين، ص ١٥.

مـــا سَـــقَتْنِي الـــدُّنَى غـــيرَ كَـــأْسِ الأَلَـــمْ

ويتحدث عن القدس على بحر الوافر، بقصيدة عنوانها: "أيها الشباب" يقول فيها: (١)

شـبابَ العُـرْبِ كـمْ لِـي مِـنْ شُـجُونِ ... وآلامٍ يضـيقُ بهـا الفُـؤادُ

فهـذي القُـدْسُ قـدْ صـارتْ مقامـاً ... لِصُـهْيونٍ وطـابَ لهـا المَعَـادُ

وفي الـوطنِ السَّـليبِ لنـا أُسُـودٌ ... تَـرومُ المـوتَ أو تُفـدَى الـبلادُ

فمَـنْ بالمـالِ ضَـحّى فهْـوَ شَـهْمٌ ... ومَـنْ بـالروحِ جـادَ هُـوَ الجَـوَادُ

وينشد على مجزوء المجتث قصيدة غزلية مطلعها: (٢)

ذكـرتُ ليلـى وعهـداً ... مضَـى ففاضـتْ دمـوعي

ولكن الذي يستلفت الأنظار أن الغالب على شعر الحجي وخاصة فيما يعبر عن حزنه وانكساره ويأسه يؤثر البحور التامة والمركبة على الخفيفة والمجزوءة، وهذا ما يتبدى لي من خلال استقراء أوزانه الشعرية، وهذا الاختلاف في الأوزان يتيح للشاعر البوح بمشاعر مختلفة، ومعاني متعددة في نفسه، حتى في إطار الغرض الواحد، "فاختلاف أوزان البحور نفسه، معناه أن أغراضًا مختلفة دعت إلى ذلك، وإلا فقد كان أغنى بحر واحد، ووزن واحد"(٣).

(١) ديوان عذاب السنين ص ٧٣.
(٢) ديوان عذاب السنين ص ١١٥.
(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب، د. عبد الله بن الطيب المجذوب: ٩٣/١و ٩٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهناك ظاهرة صوتية يجب الإشارة إليها إبان الحديث عن الموسيقى الشعرية، وهي ظاهرة "التدوير" التي تلوح بقوة في شعر الحجي، فمن ذلك قوله:[١] (الخفيف)

كَمْ لَيَالٍ مِنْ حُسْنِها بَعَثَتْ فِي الرْ (م) رُوحِ رُوحاً مَعِينُهُ لَا يَنْضَبْ

ومنه أيضا قوله:[٢] (مجزوء الكامل)

يَا مُسْتَخِفّاً بِالْإِخَا (م) ءِ الصِّرْفِ بِالْقَلْبِ الكَبِيرِ

عَنّفْتَنِي وَنَسِيتَ أَنْ (م) نَكَ بَاعِثُ الأَلَمِ المَرِيرِ

وأمثلة التدوير موجودة بكثرة في ديوان "الحجي"، حتى إن هناك قصائدَ بذاتها تتتابع فيها الأبيات المدورة تتابعا لافتا، ومن ذلك قوله:[٣] (الخفيف)

لَوْ تَرانِي وقَدْ طَحَا بِيَ فِكْرِي وَأَطَارَتْ مِنِّي الشُّئُونُ صَوَابِي

لَتَوَهَّمْتَنِي بَرِيئاً مِنْ اللُّبْ (م) بِ ضَعِيفاً مُحَطَّمَ الأَعْصَابِ

ثُمَّ لَمْ تَدْرِ أَنَّنِي فِي سَمَاءِ الْ (م) فِكْرِ أَحْيَا كَعَابِدٍ أَوَّابِ

هَكَذا عِيشَتِي رَحِيلٌ مَعَ الفِكْ (م) رِ بَعِيدٌ أَوْ نَظْرَةٌ فِي كِتَابِ

أَوْ بَقَاءٌ مَعَ الشَّقَاءِ أُنَادِي (م) هِ بِأَزْهَى الأَسْمَاءِ والْأَلْقَابِ

(١) ديوان عذاب السنين، ص ٩٧.
(٢) ديوان عذاب السنين، ص ٤٤.
(٣) ديوان عذاب السنين، ص ٣٢.

ولعل ذلك يفسر عاطفة الحجي المشبوبة، المندفعة، ونفسه المتدفق، حتى إنه لا يرى حدا للبيت يقف عنده سوى القافية، فكأنما أصبح البيت عنده دفقة عاطفية واحدة، لا تعترف بفاصل، ولا تعتني بحاجز.

وعلى أية حال فإن الشاعر في موسيقاه كان متجاوبا مع مشاعره، متناغما مع أحاسيسه، يرى في أوزان الشعر مسلاته، ويستمد منها ألحانه التي تخفف عنه وطأة التجربة، وتفثأ ما بداخله من حرارة الألم والحرمان، وتمده بما يتطلع إليه من عذوبة الإفصاح والبيان، والأهم من ذلك أنها- أي الموسيقى- مع بقية العناصر حققت في شعره الانسجام الذي عرفه صاحب " تحرير التحبير" بقوله: " أن يأتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم، سهولةَ سبك وعذوبة ألفاظ، حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره، مع خلوه من البديع، وبعده عن التصنيع"[1]، فجاءت القصيدة الشعرية في ديوان "عذاب السنين" ذات وقع شاعري مثير، يأخذ بمجامع القلوب، ويفضي إلى تعانق المتلقي بالنص، وتفاعله مع التجربة الشعرية للشاعر.

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد ابن أبي الإصبع العدواني: ٤٢٩، وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي (د.ت).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(خاتمة)

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه، محمد بن عبد الله، وعلى آله ومن تبع سنته وهداه.

وبعد..

ففي هذا البحث تجلت عبقرية الشاعر السعودي "حمد الحجي"، وبرزت قدرته الإبداعية، وتأكد لدى الباحث أنه شاعر رقراق الشعر، عذب الكلمات، دفّاق الأسلوب، لا يعرف التكلف، ولا يركن إلى تأنق مذموم، ولا يقول إلا ما يُحِسُّ به، وينفعل به وِجدانه، صدر في كل شعره عن تجربة ناضجة، وفكرة واعية، وحس مرهف.

وتتمثل نتائج البحث فيما يأتي:

- يتمتع الشاعر بنزعة رومانسية واضحة؛ فالشاعر مهموم بنفسه، مهموم بقضايا أمته، يسير في شعره على طريقة القدماء في شكل القصيدة غالبا، لكنه رومانسي الرؤية والمضمون، يلتقي بالرومانسية في كثير من خصائص شعره، وأبرزها الإمعان في الذاتية، ومحاولة البحث عن حياة بديلة في الطبيعة والمرأة والحب.

- قدرة الحجي على انتقاء مفردات عذبة، وألفاظ سهلة، بعيدة عن استعراض القدرة على التعبير، بسبب إثقاله بالآلام والهموم، ورؤيته الذاتية، فكان ذلك مظهرا رئيسا من مظاهر شاعرية القصيدة في ديوانه.

- للعاطفة أثر كبير في نضج القصيدة عن الحجي، جعلتها قادرة على اختراق قلب المتلقي، والاستحواذ على كِيانه ووجدانه.

– وظف الشاعر الصورة توظيفا جيدا، واستخدم عنصر التشخيص، وبرزت عنده ملكة الخيال التي مكنته من التعبير عن تجربته، ونقل أحاسيسه، ووصف رحلة معاناته في البحث عن سعادته المفقودة، وامتزج من خلال ذلك بالطبيعة امتزاجا قويا كان له أثره الفاعل في تخفيف حدة الألم، وفي تأثر المتلقي بحرفه الشعري، وهمسه وبوحه.

– عبّرت أوزان الشاعر الخليلية عن معانيه وأحاسيسه، تعبيرا قويا مؤثرا؛ فلم تقف عائقا دون الإفصاح عن مكنون ذاته، ولم يحتج إلى خرقها استجابة لدواعي الحداثة، وهو ما يؤكد بقاء هذه الأوزان وقدرتها الفاعلة في النفس، وتماهيها مع أنغام النفس الداخلية، وآلامها الخفية.

وفي نهاية المطاف تحسن التوصية بالعناية بشعر الحجي، وتسليط مزيد من الضوء على شعره وشاعريته، والعناية كذلك بالدراسات النفسية، وعلاقة الألم والشعور الصادق بالبيان الناصع والشعر القوي المؤثر، الذي تتجلى على صفحاته مظاهر الشاعرية التي تميز بين الشعراء في طريقة إبداعهم، وأنماط تفكيرهم.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(مراجع البحث)

- أدباء سعوديون (ترجمات شاملة لسبعة وعشرين أديبا) د/ مصطفى إبراهيم حسين، دار الرفاعي- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤ه/١٩٩٤م.
- أسرار البلاغة للجرجاني، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- أسس النقد الأدبي عند العرب، د/ أحمد بدوي، دار نهضة مصر ١٩٩٦م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد ابن أبي الإصبع العدواني، وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي (د.ت).
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت (د.ت).
- حمد الحَجِّي شاعر الآلام، المجلة العربية، العدد (٥٢٣)، الجمعة ٢٠١٥/٠٣/٢٠م.
- ديوان ابن الرومي، شرح الأستاذ/ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٣ه- ٢٠٠٢م.
- ديوان "عذاب السنين، حمد "الحَجِّي، جمع وتحقيق/ محمد بن أحمد الشدي، دار الوطن- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩ه/ ١٩٨٩م.
- ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى برواية أبي بكر الوالبي)، تحقيق/ يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ه- ١٩٩٠م.
- رسائل الجاحظ، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

- شعراء نجد المعاصرون دراسة ومختارات، د. عبد الله بن إدريس، النادي الأدبي بالرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣/ ٢٠٠٢م.
- الشعر العربي المعاصر: روائعه ومدخل لقراءته، د/ الطاهر أحمد مكي، دار المعارف– القاهرة– الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.
- الصورة الأدبية تأريخ ونقد، د/ على علي مصطفى صبح، دار إحياء الكتب. (د. ت).
- المرشد إلى فهم أشعار العرب، د. عبد الله بن الطيب المجذوب، دار الآثار الإسلامية، وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- مقدمة للشعر العربي، أدونيس، دار العودة– بيروت ١٩٧٩م.
- معجم البابطين، حرف الحاء، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية ٢٠.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩ه– ٢٠٠٨م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م.
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، الطبعة: الأولى، ١٣٠٢ه.

مواقع إلكترونية:

- حمد الحَجِّي شاعر الآلام، المجلة العربية، العدد (٥٢٣)، الجمعة ٢٠/٠٣/٢٠١٥م:
http://www.arabicmagazine.com/arabic/articleDetails.aspx?Id=4201#
- شعريّة الصورة في شعر عبد الرحيم عمر.. ديوان «بعد كلّ ذلك» نموذجاً:
https://www.addustour.com/articles/١٠٢٤٢١٩-%D%٨B%٤D%٨B%٩D%٨B%١D٨%٩A%D%٩١%٩D%٨A٩-

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(فهرس الموضوعات)

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	١٤١
٢.	Abstract	١٤٢
٣.	مقدمة.	١٤٣
٤.	تمهيد:	١٤٦
٥.	المطلب الأول: التعريف بالشاعر وشعره.	١٤٦
٦.	المطلب الثاني: المقصود بشاعرية القصيدة.	١٤٨
٧.	المبحث الأول: شاعرية المفردات:	١٥٠
٨.	حقل الطبيعة.	١٥١
٩.	حقل المرأة.	١٥٣
١٠.	حقل الوطن.	١٥٦
١١.	المبحث الثاني: شاعرية العاطفة.	١٥٨
١٢.	المبحث الثالث: شاعرية الصورة.	١٦٤
١٣.	المبحث الرابع: شاعرية الإيقاع.	١٧١
١٤.	خاتمة.	١٨٠
١٥.	مراجع البحث.	١٨٢
١٦.	فهرس الموضوعات.	١٨٤